تفاوت مستوى الوعى طوال اليوم. مع اشتداد التوهان فى فترة ما بعد الظهيرة والمساء، وعن هذا العرض يقول تعالى: «**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**» الملك ١٠

٢ - **قصور الإدراك**: ويصحبه توهان زمانى «عدم معرفة الوقت أو اليوم أو السنة» وتوهان مكانى «أكثر أهمية» وعن هذا العرض يقول تعالى: «**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**» الروم ٥٥ ويقول تعالى: «**إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا**» طه ١٠٤

٣ - **اضطرابات سلوكية**: مثل الهدوء، والخمول، وقلة الكلام، وعدم الرغبة فى التحدث، أو على النقيض من ذلك. هياج، وجلبة وثورة فى النشاط، وعن هذا العرض يقول تعالى«**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**» الفرقان ٢٧

٤ - **اضطراب التفكير**: حيث يصبح التفكير بطيئا ويصاحب ذلك أفكار ضلالية، مثل الشعور بالتآمر على المريض وغير ذلك، وعن هذا العرض يقول تعالى: « **رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ** »الاعراف ٣٨ ويقول تعالى: « **وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا**» الأحزاب ٦٧

٥ - **الادراك الحسى**: مضطرب، مع تواجد ضلالات وهلاوس بصرية أو تلامسية، وعن هذا العرض يقول تعالى: «**وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ**» ص ٦٢ - ٦٣

٦ - **الروح المعنوية**: قلق، خوف، وحيرة، وعدم استقرار، أو اكتئاب أو هياج، وعن هذا العرض يقول تعالى: «**فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ**» المنافقون ١٠ ويقول تعالى «**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ**» الأحزاب ٦٦

٧ - **الذاكرة**: معتلة، وقد لا يتذكر المريض حالته المرضية بعد فترة، وعن هذا العرض يقول تعالى « **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ** » فاطر ٣٧ ويقول تعالى «**وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ**» الفجر ٢٣ وصدق الله العظيم القائل «**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا**» النبأ ٢٩

وداونى بالتى هى الداء

يقول بعض الناس بأنهم تعودوا على أداء التمارين الرياضية الصباحية إلى درجة الإدمان. ومفهوم الإدمان هنا معناه تناول الشئ بطريقة معاودة وجبرية ومن ثم فإن أحد ركائز الإدمان «العادة» ويردد البعض الآخر بأنه أصبح مدمنا فى علاقاته مع الحبيب وفى هذا الصدد يرى علماء النفس أن هناك جهازين من الأجهزة الفسيولوجية المرتبطة بفكرة الحافز المطلق وهذان الجهازان هما: الجهاز العصبى الذاتى اللاإرادى، والجهاز الشبكى بالمخ ووظيفته التحكم فى التنشيط والانتباه ويعمل هذان الجهازان طبقا للمبدأ الهميوستازى «الاتزان الجسمى» وتؤدى استثارة إحدى مناطق جهاز التنشيط الشبكى المخى، إلى حدوث انفجار كبير فى الإثارة بوجه عام، فمثلا القطة النائمة قد تهب فجأة واقفة وهى فى قمة الانتباه بعد أن كانت نائمة، إن استثارة منطقة أخرى من الجهاز الشبكى المخى، يمكن أن يعطينا أثرا عكسيا مضادا متمثلا فى إصابة الحيوان المستيقظ بالنعاس والنوم، وتركز النظريات المعرفية للانفعالات أساسا على إثارة الكفاح أو الهروب عن طريق إثارة الجهاز العصبى الذاتى السمبثاوى كما قد تؤدى هذه البؤرة الضيقة إلى الخلط أو الالتباس عما إذا كان هناك حالة انفعالية واحدة أم أكثر.

ويتفق معظم أصحاب هذه النظريات المعرفية على أن الإثارة الذاتية ما هى إلا مكون - على الأرجح - من مكونات كل انفعال وكل سلوك مدفوع.

الاختلال الوظيفى

العمليات المضادة والإدمان: إذا كان الجسم يستجيب للأحداث المثيرة فإن ذلك يسهم - إلى حد كبير - فى ظهور حالات الإدمان بكل أشكاله وأنواعه، وطبقا لفروض نموذج «ريتشارد سولمون» فإن نموذج العملية المضادة لكل حالة فسيولوجية من حالات الإثارة ينتقل إلى ظهور حالة مضادة أوتوماتيكيا بمعنى أن الجسم البشرى يحاول دائما الحفاظ على الاتزان الفسيولوجى «الهميوستازى». إن نظرية العملية المضادة توضح لنا أسباب زيادة قدرة مدمنى الخمور على احتمال ومقاومة شرب الخمر وتناوله وكذلك مدمن الأدوية، إن أول كأس من الخمر وأول حقنة من مخدر الهيروين تعطى حالة من السعادة والراحة المؤقتة حيث يستجيب الجسم لذلك بعملية فسيولوجية مضادة للهدف منها وهو عودة الشخص إلى مستوى خط الأساس أى يعود إلى سيرته الأولى، ومن هنا تصبح السعادة بطيئة وضعيفة عند أول حقنة بالمخدرات.

وبعد انتهاء حالة البهجة والسعادة الناجمة عن الحقنة يبدأ الشخص فى الشعور بالإثارة الطفيفة والمتاعب الشفيفة نتيجة الإسراف فى شرب الخمر أو تعاطى المخدرات ومع تكرار تعاطى المخدر فإن الإثارة السيئة تزداد مدتها وتقوى أما الحالة المتمثلة فى السعادة فتقل مدتها بالمقارنة بالحالة التى كان عليها الشخص عند تعاطيه المخدر لأول مرة، ونعنى بذلك أن المدمن منذ فترة طويلة، يشعر بطول مدة الإثارة السيئة ومن ثم فإنه يلجأ إلى زيادة الجرعات التى يتعاطاها لمواجهة زيادة طول مدة هذه الإثارة وما نتج عنها.

ولذلك فإن مدمن الخمر الذى أقلع عن تناولها سيعاني من الأعراض السيئة المتمثلة فى أعراض الانقطاع عن تعاطى المخدر إذا ما عاوده الحنين إلى تناول الخمر مرة أخرى فى إحدى المناسبات الاجتماعية.

وقد لاحظ «سولمون» فى عام ١٩٨٠ أن نموذج الإدمان ينطبق أيضا على العلاقات العاطفية الجادة كعلاقة قيس وليلى، وجميل وبثينة، وروميو وجولييت إنك حين تلتقى بإحدى بنات حواء لأول مرة لقاء عاطفيا فسوف تمتلك مشاعر الحب والسعادة، ويخامرك إحساس بأنك تملك الدنيا بما فيها ومن فيها وأنك تسير فوق بساط الريح.

وعند انفصال الحبيبين فإن الأمر يبدو كمدمن الخمر عندما يعود إلى التفكير فى تناولها إن عنصر الإثارة المرتبط بالحبيب السابق، يكمن فى «الأغنية المفضلة» التى كانت يوما ما تخاطب شأنا واحدا وشجنا عائد كما يثير ذكرى «مكان اللقاء الأول» بما حدث من نظرات حانية، وأشواق عاتية وأنفاس لاهثة، وكلمات هامسة.

إن كل هذه المشاعر والأحاسيس الماضية قد زالت من الوجدان وتلاشت وطواها النسيان، ولكن إذا هاجت وأثيرت الذكرى فإن المرء ذا النفس الشاعرية يتألم ويفزع، بينما العتل الزنيم لا يحس أو يهرع.

د.عزت عبدالعظيم الطويل
أستاذ علم النفس بكلية الآداب جامعة بنها